

# الحجاب الخارجي ولباس الزينة الباطني



لخطيارة الشيف

ماهرين ظاهر الحجاب

لشرف العام على مجلة معرفة السنن والآثار

سلسلة الحجاب

إذا المرء لم يلبس ثياباً من التقى

تقلب عرياناً وإن كان كاسياً

وخير لباس المرء طاعة ربِّه

ولا خير في من كان لله عاصياً

فما تجده المرأة من تلك الآثار السيئة على قلبها بسبب المخالفة للهدي النبوى في اللباس من هم وغمونكدهومن رحمة الرب بها، ذلك لتعود إلى رشدتها فتحسن الظن به، وأنها لو لبست اللباس المطلوب شرعاً أسعدها سبحانه أضعاف ما توهّمه من سعادة قلبها باعجاب صويحياتها ومفاخرتهن به، فقد خرج أحمد في مسنده مرفوعاً : « إنك لن تدع شيئاً لله عزوجل إلا بذلك الله به ما هو خير لك منه ».

قال تعالى: ﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْأَرْضِ وَالْبَحْرِ إِمَّا كَسْبُ أَيْدِيِّ النَّاسِ لِيُذْيِقُهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ الروم: ٤١ .

ولقد ظهرت مخالفات في لباس المرأة المسلمة المعاصرة، لوعلمها النبي ﷺ لمنعهن من خروجهن به إلى المساجد، مع النهي في عهده عن منعهن إذا التزمن التقى في اللباس والهيئة، فلم يخرجن متبرجات بزيّنة متطيبات، بل متحجبات بمروطهن متلفعات بل تقلّات، فكيف يكون قوله ﷺ لهن وهن اليوم يخرجن إلا ما رحم الله متبرجات بالعباءات الضيقة المحجّمة للكتفين والنهدّين والأرداف، قصيرة يتبين معها لون لحم القدمين أو الساقين والذراعين، أو تلك المخصرة الملونة المزركشة فتبدو فيها كاسية عارية مفتونة فاتنة، قال النبي ﷺ : « نساوهم كاسيات عاريات على رؤوسهن كأسنمة البخت العجاف العنوان فانهن ملعونات ».

خرج أبو داود في سننه عن أبي هريرة أنَّ رسول الله ﷺ قال: « لا تمنعوا إماء الله مساجد الله ولكن ليخرجن وهن تقلّات ».

وروى البخاري من حديث يحيى بن سعيد عن عمّرة بنت عبد الرحمن أنها أخبرته أن عائشة رضي الله عنها قالت: « لو أدرك رسول الله ﷺ ما أخذت النساء لمنعهن كما منعت نساء بني إسرائيل قلت لعمّرة: أؤمنن؟ قالت: نعم». فوقعَت المخالفة في العجبان الغارجي والثوب الباطني، فلنذكرها تحذيراً ونصحاً،

الحمد لله وحده والصلوة والسلام على من لا  
نبي بعده، أما بعد:

فإن لباس المرأة وثياب زينتها وحجابها من نعم الله عليها، ولذلك امتن الله على بني آدم بنعمته اللباس أن دلهم عليه وخلق لهن عقولاً تصطgne وتجمّعه وتختروعه، فتتنعم الأبدان به وتتزين، وأخبر أن لباس التقى للله ذلك خير ، فقال تعالى:

﴿ يَتَبَّعُ إِدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ بِيَاسًا يُوَرِّي سَوَّرَتُكُمْ وَرِيشًا وَلِيَاسٌ

النَّقَوْيَنِ ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ مَا يَأْتِي اللَّهُ لِعَلَّهُمْ يَدْكُرُونَ ﴾ الأعراف: ٢٦.

يسائر عوراتها أمام النساء والرجال من محارمها وغيرهم، وتزين به قامتها ويقيها البرد والحر، فإن لبسه بتقوى كان ذلك من شكر نعمته، وإن لبسه دون ذلك فهو من كفره الله، وكان لباسها وتألقها باللباس المخالف للهدي النبوى ونساء الصحابة وبلاع عليها، وشقّاء وهمّاً وغماً ونكاً على القلب، فلباس التقى خير من لباس المعصية، ولو غلى ثمنه وعظمت في النفوس أباهته، وإن صلت وصامت وتصدق، ولليل قامت، فتقى الله لا يقبل التخليل، فقد قال سبحانه: ﴿ أَتَقْوَا اللَّهَ حَقًّا

تُقْلِلُهُ ﴾ الدعمان: ١١٢، أي اجتنبوا جميع معصيته، فلا تطیع الله في الصلاة والصوم والصدقات وتعصيه في اللباس، فخالف فيه هدي سيد الناس، فلا يكون عزالها بل ذلا، كما أخرج أحمد في مسنده مرفوعاً: « وجعل الذلة والصغرى لخالف أمرى ومن تشبه بقوم فهو منهم ». قال ابن القيم رحمه الله: « كل من عصى الله سبحانه سلط الله عليه جنديان لا ينفكان عنـه؛ الأول اسمه الهم، والثاني اسمه الغم، فلا ينفكان عن قلب العاصي حتى يدع العاصي، وما يعلم جنود ربك إلا هو وما هي إلا ذكري للبشر ».

قال الشاعر مبيناً أن اللباس لباس التقى، وأن اللباس بغير تقى صاحبه عرياناً:

الله على ثوبين مغضفين»، فقال: «إن هذه من ثياب الكفار فلَا تلبسها».

وروى أبو داود في سننه عن ابن عمر قال قال رسول الله ﷺ: «من تشبه بقوم فهو منهم». فإذا ألبست لباساً مختصاً بـلك الكافر، أظهرت فيه مفاتنها، أولئك باطن جلدتها، فلا يجوز ذلك، لأن أثر التشبه خطير كما أخبر رسول الواحد القدير ﷺ، وأن من تشبه بـلك الكافر فهو منهم.

قال بن تيمية رحمه الله: «الموافقة في الظاهر تؤول إلى الملاطفة في الباطن»، فتبدأ بـلك الكافرة أو السينمائية الفاجرة في اللبس، فتنقاد لتلك العلاقة الخارجية بـلك الكافر، فتحبها لأجل الاشتراك والتناظر في الظاهر والتواافق في الباطن المؤدي للانجذاب، ورويداً إلى أن تصبح كافرة بالله مثلهن، فسدت الشريعة الذريعة فأمرت بالمخالفة لـلكافر ونها عن التشبه بهم.

وقد تقول قائلة: إن اللبس أعتبرني، فألبس ذلك الثوب أمام زوجي وإن كنـلكـ الكافرات يختصـنـ به!

قلنا ليس من شـرـطـ التـشـبـهـ القـصـدـ كـمـاـ أـفـادـ شـيخـ الإـسـلامـ اـبـنـ تـيمـيـةـ رـحـمـهـ اللهـ،ـ بلـ التـوـافـقـ وـالـتـنـاظـرـ وـلـوـمـنـ غـيرـ قـصـدـ تـشـبـهـ،ـ وـلـذـكـنـهـ النـبـيـ عـنـ الصـلـاةـ عـنـ دـغـرـوبـ الشـمـسـ لـأـنـهـ اـصـلـةـ الـكـافـرـ،ـ إـنـ قـالـ المصـلـيـ لـأـقـصـدـ التـشـبـهـ بـهـمـ،ـ بلـ المـقـصـدـ فـيـ النـهـيـ مـنـ تـطـابـقـ الصـورـةـ المـخـتـصـةـ بـالـكـافـرـ وـالـفـسـاقـ وـلـوـمـنـ غـيرـ قـصـدـ.

فـهـذـاـ الـلـبـاسـ بـتـلـكـ الـهـيـةـ وـالـقـيـةـ تـشـبـهـ بـهـاـ الـمـرـأـةـ يـؤـثـرـ عـلـىـ سـلـوكـهـاـ وـشـخصـيـتـهاـ لـتـفـاعـلـ معـ الـلـبـاسـ،ـ فـإـنـ الـلـبـاسـ لـهـ أـثـرـ عـظـيمـ وـخـطـيرـ عـلـىـ النـفـوسـ،ـ وـلـذـكـ يـحـرـصـ الشـيـطـانـ تـزـيـنـ التـبـرـجـ لـلـنـسـاءـ،ـ وـالـتـشـبـهـ بـالـغـرـبـيـاتـ وـالـمـطـرـيـاتـ الـفـاجـرـاتـ لـإـيـقـاعـ الـجـمـعـاتـ فـيـ الـرـذـيلـةـ،ـ فـتـضـمـلـ الـفـضـيـلـةـ،ـ قـالـ اللهـ تـعـالـىـ:ـ إـنـكـ

يـأـمـرـكـ بـالـسـوـءـ وـالـفـحـشـاءـ وـأـنـ تـقـولـ عـلـىـ اللهـ مـاـ لـأـعـلـمـونـ

(البقرة: ١٦٩).

وـآخـرـ دـعـوـانـاـ أـنـ الحـمـدـ لـلـهـ رـبـ الـعـالـمـينـ،ـ

يـصلـحـ لـبـسـ الـكـابـ الـذـيـ كـأـنـهـ فـسـطـانـ يـصـفـ مـعـضـدـيـهـ وـكـتـفـيـهـ وـتـقـسـيمـ بـدـنـهـ أـمـلـونـ مـزـكـشـاـ يـلـفـ النـظـرـ إـلـىـ الـمـرـأـةـ بـلـ اـسـوـدـ لـأـلوـنـ فـيـهـ،ـ كـأـنـهـ مـنـ الغـرـبـانـ.

روى أبو داود في عن أم سلمة قالت: «لم تزلت يـدـنـيـنـ عـلـيـهـنـ مـنـ جـلـابـيـبـهـ خـرـجـ نـسـاءـ الـأـنـصـارـ كـأـنـ عـلـىـ رـغـوـسـ مـنـ الـأـكـسـرـ سـاقـطاـ إـلـىـ مـاـ أـسـفـ الـقـدـمـ».

روى النـسـائـيـ أـنـ أـمـ سـلـمـةـ لـمـ أـسـمـعـتـ:ـ «ـمـنـ جـرـ ثـوـبـهـ خـيـلـاءـ لـمـ يـتـظـرـ اللـهـ إـلـيـهـ»ـ،ـ قـالـتـ يـارـسـولـ اللـهـ:ـ «ـفـكـيـفـ يـصـنـعـ النـسـاءـ بـذـيـلـهـنـ؟ـ»ـ،ـ قـالـ:ـ «ـيـرـخـيـنـهـ شـبـراـ»ـ،ـ قـالـتـ:ـ «ـإـذـنـ تـنـكـشـفـ أـقـدـامـهـنـ؟ـ»ـ،ـ قـالـ:ـ «ـيـرـخـيـنـهـ ذـرـاعـاـ وـلـاـ يـزـدـنـ عـلـيـهـ»ـ.

قال الإمام أحمد: «لـيـنـبـغـيـ أـنـ يـرـىـ حـذـاءـ الـرـأـةـ»ـ،ـ يـعـنـيـ حـتـىـ لـيـصـفـ حـجـمـ عـظـمـ الـرـأـةـ قـدـنـهـ الـبـيـنـ أـنـ يـبـرـزـ حـجـمـ عـظـمـهـ.

ولـقـدـ اـسـتـقـبـحـ فـاطـمـةـ رـضـيـ اللـهـ عـنـهـ اـمـنـظـرـ الـرـأـةـ فـيـ كـفـنـهـاـ،ـ فـيـصـفـ الـكـفـنـ حـجـمـ مـفـاتـنـهـ،ـ فـكـيـفـ وـهـيـ حـيـةـ؟ـ!

خرج أبو نعيم عنها أنها قالت: «يا أسماء! إني قد استفتحت ما يصنع النساء - أي عند الموت - أن يطرح على المرأة الثوب فيصفها، فقالت أسماء : يا ابنة رسول الله ﷺ ! لا أرىك شيئاًرأيته بالحبشة؟ فدعت بجرائد رطبة، ففتحتها، ثم طرحت عليها ثوبا، فقالت فاطمة : ما أحسن هذا وأجمله، تعرف به المرأة من الرجل . فإذا مات أنا فاغسليني أنت وعلي، ولا يدخل علي أحد»، فلما توفيت غسلها علي وأسماء رضي الله عنهما .

### ثـانـيـاـ:ـ لـبـاسـ الـزـيـنـةـ الـبـاطـنـيـ

والـذـيـ هوـ تـحـتـ الـحـجـابـ،ـ وـالـقـيـةـ تـقـابـلـ بـهـ مـمـنـ يـحـلـ لـهـ مـنـ عـبـادـ رـبـ الـأـرـبـابـ مـنـ مـعـارـمـهـاـ مـنـ الرـجـالـ؛ـ كـأـبـيهـ،ـ وـالـنـسـاءـ الـمـسـلـمـاتـ؛ـ كـأـمـهـاـ،ـ وـجـارـهـاـ،ـ فـعـرـامـ عـلـيـهـاـ أـنـ تـلـبـسـ لـبـاسـ الـكـافـرـاتـ أوـ الـمـغـنـيـاتـ أوـ الـفـاسـقـاتـ،ـ وـالـرـاقـصـاتـ وـالـمـمـثـلـاتـ الـسـيـنـمـيـاتـ وـلـوـ أـعـجـبـهـاـ،ـ فـإـنـ ذـلـكـ تـشـبـهـ بـهـنـ!

روى مسلم في صحيحه عن جبير بن نفير أخبره أن عبد الله بن عمرو بن العاص أخبره قال: «رأى رسول

فالـدـينـ النـصـيـحةـ وـحـتـىـ لـيـفـجـاهـاـ الـمـوـتـ بـحـادـثـ أوـ مـوـتـ فـجـاهـةـ،ـ فـتـخـلـعـ ثـيـابـ الـفـسـقـ وـتـلـبـسـ الـأـكـفـانـ فـتـمـوتـ عـلـىـ ذـلـكـ الـلـبـاسـ الـذـيـ كـانـتـ تـعـصـيـ بـهـ رـبـ النـاسـ،ـ فـتـسـوءـ خـاتـمـتـهاـ،ـ فـإـنـ الـمـرـأـةـ كـالـرـجـلـ يـبـعـثـ عـلـىـ مـاـ يـمـوتـ عـلـىـهـ عـيـادـاـ بـالـلـهـ،ـ كـمـاـ جـاءـ بـذـلـكـ الـحـدـيـثـ ..

فـكـمـ مـنـ نـادـمـةـ تـوـفـيـتـ وـهـيـ بـحـجـابـهـ الـفـسـقـيـ،ـ وـأـخـرـ بـفـسـطـانـهـ السـافـرـ فـسـطـرـهـ الـتـرابـ،ـ ثـمـ أـشـعـلـ عـلـيـهـ فـيـ ضـيقـ الـقـبـرـ وـظـلـمـتـهـ وـغـمـهـ عـذـابـ رـبـ الـأـرـبـابـ،ـ وـالـمـوـتـ يـأـتـيـ فـجـاهـةـ وـالـقـبـرـ صـنـدـوقـ الـعـمـلـ،ـ فـلـاـ يـغـرـنـكـ أـخـتـاهـ طـولـ الـأـمـلـ فـاسـتـيـقـظـيـ مـنـ لـهـ وـالـقـلـبـ وـغـفـلـتـهـ لـاـ يـسـتـخـفـنـكـ الشـيـطـانـ وـحـبـ الـدـنـيـاـ،ـ فـهـمـ رـأـسـ كـلـ خـطـيـةـ،ـ قـالـ تعـالـىـ:ـ يـأـيـهـاـ الـنـاسـ إـنـ وـعـدـ اللـهـ حـقـ فـلـاـ تـغـرـرـكـ الـحـيـوةـ الـذـيـكـ وـلـاـ يـغـرـرـكـ بـالـلـهـ الـغـرـبـدـ

﴿الذـيـكـ وـلـاـ يـغـرـرـكـ بـالـلـهـ الـغـرـبـدـ﴾ (افتخار: ١٥).

وـقـالـ تـعـالـىـ :

﴿أـقـرـبـ لـلـنـاسـ حـسـابـهـمـ وـهـمـ فـعـلـلـهـ مـعـرـضـوـنـ﴾ ١  
مـاـ يـأـيـهـمـ مـنـ ذـكـرـ مـنـ رـبـهـمـ مـحـدـثـ إـلـاـ أـسـمـعـوـهـ وـهـمـ  
يـلـعـبـوـنـ﴾ ٢  
﴿إـلـيـهـ﴾ (الأنبياء: ٢١).

### أـلـوـاـ:ـ الـحـجـابـ الـخـارـجـيـ

فيـجـبـ أـنـ تـكـونـ صـفـتـهـ عـلـىـ مـاـ كـانـ عـلـيـهـ أـهـلـ الـأـمـرـ الـأـلـأـوـلـ مـنـ نـسـاءـ الـصـاحـبـاتـ الـفـاضـلـانـ الـزـاهـدـاتـ فـيـ الـدـنـيـاـ عـهـدـ الـنـبـيـ لـأـنـهـ لـأـنـهـ لـأـنـزـلـ الـحـجـابـ فـلـبـسـنـهـ وـأـقـرـهـنـ عـلـيـهـ عـرـفـ أـنـ تـلـكـ هـيـ صـفـتـهـ،ـ وـقـدـ جـاءـتـ صـفـتـهـ ذـلـكـ فـيـمـاـ رـوـاهـ الـبـخـارـيـ فـيـ صـحـيـحـهـ عـنـ عـرـوةـ بـنـ الـزـيـنـرـانـ عـائـشـةـ أـخـبـرـتـهـ قـالـتـ:ـ كـمـ نـسـاءـ الـمـؤـمـنـاتـ يـشـهـدـنـ مـعـ رـسـوـلـ اللـهـ صـلـاـةـ الـفـجـرـ مـتـلـفـعـاتـ بـمـرـبـطـهـنـ ثـمـ يـتـقـلـبـنـ إـلـىـ بـيـوـتـهـنـ حـيـنـ يـقـضـيـنـ الصـلـاـةـ لـاـ يـعـرـفـهـنـ أـخـدـ مـنـ الـغـلـسـ﴾.

مـتـلـفـعـاتـ:ـ أـيـ مـتـسـتـرـاتـ مـتـجـلـلـاتـ بـالـمـرـطـ وـهـوـ كـسـاءـ مـنـ صـوفـ يـغـطـيـ جـسـدهـ كـلـهـ مـنـ أـعـلـىـ رـأـسـهـ فـيـسـقطـ عـلـىـ جـمـيعـ نـوـاحـيـ بـدـنـهـ حـتـىـ يـغـطـيـ رـجـلـهـ لـاـ ضـيقـ يـصـفـ مـعـالـمـ بـدـنـهـ،ـ وـلـاـ يـلـقـىـ عـلـىـ الـكـتـفـ فـيـصـفـ حـجـمـ كـتـفـهـنـ،ـ بـلـ وـاسـعـ غـلـيـظـ لـاـ يـنـفـذـ الـبـصـرـ إـلـىـ أـسـفـلـهـ وـهـ مـاـ تـسـمـيـهـ الـيـوـمـ الـعـامـةـ عـبـاـيـةـ الـرـأـسـ﴾ـ فـلـاـ